

## كيف خدم المتطرفون السنة مخططات الحرس الإيراني

مقتل سليمان سلط الضوء على علاقات خفية ومشبوهة



روابط وثيقة وغير معلنة

اقتضى هذا التصور الغربي صناعة واقع عربي مفكك والسماح لدولة مثل تركيا باحتضان جماعة الإخوان والجهاديين السنة، وغض البصر عن أنشطة إيران التي ترعى التطرف الشيعي لمواصلة إضعاف القوى العربية. وتسببت تلك التصورات في فراغ استراتيجي بالشرق الأوسط وأعلنت واشنطن نفوذها لإيران واتاحت حضوراً قوياً لتنظيمات جهادية متعددة، فلم تكن هناك قاعدة ولا داعش في سوريا قبل تنفيذها على الأرض، وجاء حضورهما بناءً على مساعي أطراف الصراع لتحقيق مصالحها من خلال توظيف تلك الخلايا المسلحة في المعارك الدائرة. تبدلت الاستراتيجيات نظراً لهزيمة التنظيمات التكفيرية وفشل مشروع الإسلام السياسي وتجاوز إيران الخطوط الحمراء في الدول العربية، وهو ما أثر على مصالح أميركا في المنطقة والعالم. مثل إقدام الأجهزة الأميركية على قتل سليمان خطوة كبيرة بعد فرض العقوبات على طهران، وقبله قتل أبو بكر البغدادي، على طريق تغيير المعادلات وتفكيك بنية التنظيمات الإرهابية المتشابكة، لإجبار إيران على القبول بالواقع الجديد الذي تحاول الإدارة الجمهورية فرضه، والأهم أن مقتل سليمان والبغدادي سوف يظل ضربة نوعية لعدم تيارات الإرهاب السني والشيعي في المنطقة.

للدول الأوروبية، وهذا لم يكن مسؤوليتها الدول العربية وحدها، فمن بحث في الفكر التكفيري الحياة وضاعف من قوة تنظيماته وحولها لشبكات أخطبوطية مترابطة المصالح رغم اختلافها المذهبي والفكري هو الدعم الجارحي القادم من قوى إقليمية لديها مشاريع توسعية صريحة بالداخل العربي. تبدو مرحلة الرئيس الأميركي دونالد ترام مفصلية بين واقعين مختلفين في ما يتعلق بأوضاع التنظيمات الإرهابية وداعميها، حيث ساد قبله التسامح مع حقيقة كارثية وهي ارتباط تنظيمات متطرفة وإرهابية سنوية بإيران تمويلاً وتسليحاً، واستفاداً التنظيمات الشيعية والسنية من بعضها لتوفير بيئة طائفية حاضنة لأنشطتهما. ونشط الإرهاب السني والشيعي، وقدمت الميليشيات الشيعية في العديد من الدول العربية نفسها كمحاربة للإرهاب السني، بينما زعم داعش أنه يحمي السنة من اضطهاد الشيعة وتغول ميليشياتها. غصت الولايات المتحدة في عهد الرئيس السابق باراك أوباما بصرفها عن تدخل تركيا العسكري في سوريا والعراق، وسحقت قبل ذلك إيران بالسيطرة على شؤون العراق ومررت بنشاطها السياسي والعسكري المتصاعد في المنطقة العربية، بهدف تمكين النموذج الديني لشرعنة حضور إسرائيل كدولة دينية.

العالم نابع من الدول العربية السنوية، وأنه من الممكن القضاء على الإرهاب بالتركيز على التنظيمات التكفيرية السنوية، وإغفال أنشطة إيران وممارسات الميليشيات الشيعية في المنطقة. مسوغ هذا التصور لدى من اعتنقوه وصول أنشطة التنظيمات الإرهابية السنوية، مثل داعش والقاعدة، إلى خارج حدود دولها واستهدافها الداخل الأوروبي والأميركي، بينما لا ينطبق ذلك على الميليشيات الشيعية الموالية لإيران التي تركز عملياتها في المنطقة العربية ولا تستهدف الغرب بشكل مباشر. وأضح أن استشرى الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط وبكافة أنحاء العالم، ليس كما توهمت الدول الكبرى نتيجة لطبيعة المجتمعات العربية السنوية المرفخة للأفكار المتطرفة، بل هو ناتج عن خلط الأوراق وتاجيج الصراعات المذهبية وتوظيف تنظيمات سنوية وشيعية متطرفة بالداخل العربي في مشاريع توسعية لحساب مصالح قوى غير عربية، مثل إيران وتركيا. أدى انفجار الأوضاع داخل بعض الدول العربية ودخول بعضها في حروب أهلية مفتوحة، إلى هروب أعداد هائلة من مواطنيها وطلبها اللجوء

لنهج القاعدة والذي أعلن عن تبني تنفيذ بعض العمليات الرمزية في قلب إيران، الاستفادة من باب التمايز وتوظيف الخلاف المذهبي لخلق مبررات للحضور والتوسع داخل المجتمعات السنوية التي تعاني من الاضطهاد الطائفي، وتبحث عن يقظتها من التمدد الميليشيائي الشيعي، ما خدم إيران التي قدمت نفسها أمام العالم كمنافس للإرهاب السني. في جميع الأحوال خاصة بمنطقة الشرق الأوسط، والسادت حالياً إظهار الخوف من عودة تنظيم داعش لسابق عهده في العراق وسوريا، نتيجة اشتغال الولايات المتحدة بصراع طرا على الساحة في مواجهة النفوذ الإيراني والتمسطة ميليشياتها المسلحة بالمنطقة العربية. هذا التصور الخاطئ مبني على وهم استمر لفترة طويلة واعتنقته قوى كبرى في مقدمتها الولايات المتحدة، ومفاده أن الإرهاب بمنطقة الشرق الأوسط هو سني الهوية والمصدر، وأن أصل الإرهاب في

العلاقة بين إيران الشيعية والكثير من التنظيمات الجهادية السنوية ظلت قائمة لفترة طويلة، ومتناحرة في الظاهر ومتحالفة في الباطن، حتى بدت تجليات عديدة لتوحيه العلاقة تتوالى، لتؤكد أن هناك مصالح كبيرة متبادلة بين الجانبين، تمنح لكل طرف فرصة لتحقيق الأهداف بالطريقة التي يريدها.

منفصلون عن تنظيماتهم استغلوا الحدث لإعلان البراءة من التعاون مع الميليشيات الشيعية، فيما أجمعت الحسابات المؤيدة لداعش عن ابتهاجها بالحدث.

## تحالف براغماتي

يوحي ما يطفو على السطح للبعض بأنه دلالة على انقسام عميق داخل التنظيمات الجهادية السنوية، لكنها لا تعدو مجرد ملامسات غرضها التوظيف الإعلامي والسياسي. فالانقسام بشأن الموقف من موت محمد مرسي القيادي الإخواني السابق الذي تولى حكم مصر لمدة عام عندما خرج أبو قتادة الفلسطيني مترحماً عليه، بينما أعلن أبو محمد المقدسي تبرؤه منه، لم يؤثر في حقيقة وجود تنسيق على مختلف المستويات بين جماعة الإخوان وتنظيم القاعدة. ولا يعكس خروج البعض من القيادات المنفصلة عن القاعدة مبتهجة بمقتل سليمان والإستفاد من الحرس الثوري، للدرجة التي تدفع البعض منهم لانتهاز الفرص لإعلان التبرؤ من تلك العلاقة المحرمة شرعياً وعقدياً وفق قناعات تنظيمات السلفية الجهادية.

سعى حمزة بن لادن عندما كان في أوج المناقشة على زعامة التنظيم، قبل إعلان مقتله، إلى توظيف العلاقة القوية التي تربط أمين الظواهري بقائد فيلق القدس قاسم سليمان، وتربيط القاعدة بالحرس الثوري لتتنصر المحاولات في إطار التوظيف من قيادي طامح في الزعامة. بينما استمر التعاون التنظيمي كما أرساه بن لادن الأب، وسار عليه الظواهري، وظلت قيادات القاعدة المقيمة في إيران تسمع وبصير قيادات الحرس الثوري فاعلة ومؤثرة في مسارات التنظيم وأنشطته في مختلف الساحات.

لم تحدد العلاقة بين القاعدة وإيران عن إطارها الذي تم التوافق عليه لأول مرة في الخرطوم عام 1992، برعاية زعيم الحركة الإسلامية في السودان حسن الترابي، فقد استمر تدريب عناصر القاعدة على يد قادة الحرس الثوري وحزب الله، واستمر الدعم بالمال والسلاح لخدمة أهداف مشتركة ومواجهة أعداء مشتركين، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة والسعودية. استفادت إيران من توظيف القاعدة عبر احتراق المجتمعات السنوية لتحقيق مهمات تخرص الميليشيات الشيعية على عدم القيام بها، واستفادت القاعدة بالمتورع على ملاذ الإقامة قادتها بعد الغزو الأميركي لأفغانستان وإسقاط طالبان علاوة على الدعم المادي والعسكري. فضل تنظيم داعش الذي أظهر العداوة لآزرع إيران في المنطقة العربية خلافاً

لم يعد التيقن من علاقة طهران بعدد من التنظيمات السنوية المتطرفة، محل نقاش، فقد وجد كل طرف في الآخر شيئاً جذاباً مما يريده، وبصورة عمقت الروابط بينهما، وخلقت شبكة جيدة من المصالح استفاد منها الطرفان.

يدور ما يشبه الفرز على ضوء تدخل الولايات المتحدة بتقليل لوضع حد للتوغل الإيراني الذي يعتمد على بعض الأذرع التكفيرية السنوية، واستمرار هذه العلاقة يؤدي حتماً إلى تخریب ما تقوم به واشنطن وحلفائها، ولذلك من الضروري شق جيوب هذه العلاقة التي يمكن أن يكون وجودها ونموها جاء عن قصد أو جهل من قبل زعامات أميركية سابقة. عكست ردود أفعال الجهاديين السنة على مقتل القيادي بالحرس الثوري الإيراني قاسم سليمان في 3 يناير الماضي مدى تدخل أنشطة التنظيمات المسلحة السنوية والشيعية، لا في الشرق الأوسط فحسب بل في مناطق بعيدة. أعربت حركة طالبان الأفغانية عن حزنها لمقتل سليمان، واصفة الهجوم الأميركي عليه بـ"الهجمي". وسبقت حركة الشباب الصومالية الحرس الثوري الإيراني في الثأر لسليمان وتبنت هجوماً ضد قاعدة أميركية في كينيا.

## ردود فعل الجهاديين السنة

على مقتل قاسم سليمان عكست مدى تدخل نشاطات التنظيمات السنية والشيعية

وفي ظل صمت القادة الفعليين لهيئة تحرير الشام، خرجت قيادات منفصلة عن الهيئة معربة عن ابتهاجها بالحدث وتصويره كما لو كان انتقاماً لأهل السنة في الشام، فقد وصف عبدالله المحيبي الحدث أثناء إلقائه خطبة الجمعة التالية في إدلب بالبشرى العظيمة للمسلمين ولأهل الشام خاصة، وإباح أبو اليقظان المصري الفتى الشرعي السابق بهيئة تحرير الشام الفرح لمقتل سليمان حتى لو تم قتله على يد الأعداء. يعود تنوع ردود أفعال أجنحة تنظيم القاعدة إلى طبيعة نشاط البعض منها في الوقت الحالي، فمن كان لا يزال مستفيداً من الدعم المادي البضول من قيادات الحرس الثوري أقر السكوت أو أعلن تنديده بالعلمية، وهناك مستقلون

## كتاب عن الحركات الإسلامية في فرنسا يرسم خارطة الغزو الأصولي

والشابات للمشاركة في القتال في البؤر الساخنة مثل العراق وسوريا. لذلك وصفها هوغو ميشرون بـ"صنع الجهاد المقدس". وكان عبد القادر الشاذلي الذي كان من أخطر العناصر التابعة للحركات الجهادية في الجزائر، والذي قدم إلى فرنسا في أواخر التسعينات أول من زرع الأفكار الجهادية في تولوز ليتناثر بها محمد مراح مرتكب مجزرة تولوز. وفي شهر مارس 2017، قام إمام مقيم بضواحي مدينة ليون الفرنسية بدعوة المهاجرين إلى عدم الاختلاط بالكفار لأن ذلك "يقدمهم أصولهم وهويتهم الدينية"، فيكونون "أعداء الإسلام" حتى ولو حافظوا على أداء فروضهم. كما حذر هذا الإمام من الزواج من الفرنسيات لأن هذا الزواج سوف يكون خطراً على الأبناء مستقبلاً.

المهاجرون المسلمون محافظين على معتقداتهم، رافضين لثقافة ونمط الحياة في البلدان التي فيها يقيمون، متمتعين بجنسيتهما، ومتكلمين لغتها. وفي الكتاب أبحاث ميدانية أنجزت في الأحياء التي يكثر فيها عدد المهاجرين من أصول مغربية تحديداً. وفي هذه الأحياء تواصل دعاة متطرفون إلى نشر أفكارهم من خلال المساجد، ومن خلال منشورات تخرص على الجهاد المقدس ضد الكفار واليهود. وتعتبر مدينة تولوز من أكثر المدن الفرنسية تأثراً بمختلف الأفكار الأصولية المتطرفة. ومن أحيائها الفقيرة انطلق العديد من الشبان

أربعة تيارات أصولية متمثلة في حركة الإخوان المسلمين التي لها انتصار في فرنسا، والسلفية، وحركة التي ظهرت في الهند في أواخر الثلاثينات من القرن الماضي، وتسربت إلى فرنسا انطلاقاً من الستينات من القرن ذاته، والجهادية التي ولدتها الحرب في أفغانستان. ويرى المؤلفون أن الحركات الأربع المذكورة تختلف في ما بينها لكنها تتوحد في مواجهة ما تسميه بـ"الأعداء الخارجيين" المتمثلين في اللاتكفي وفي الحركات النسوية العلمانية الداعية إلى

وجاء في مقدمة الكتاب أن ظاهرة الحركات الأصولية الإسلامية التي برزت في بلدان الشرق، وفي بلدان المغرب العربي قبل نحو أربعين سنة، والتي امتدت إلى أوروبا قبل عقدين، لم يتم إلى حد الآن البحث فيها ودراستها بشكل يتناسب وحجمها وقضاياها وتعميقاتها مقارنة ببريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة التي ازداد فيها الاهتمام بالحركات المذكورة بعد ضربة 11 سبتمبر 2001. كما أن الدراسات الميدانية لا تزال ضئيلة ولا تكاد تفي بالحاجة بسبب ندرة المختصين والباحثين. ويضيف كاتب المقدمة قائلاً بأن جل الأبحاث والدراسات التي تضمنها الكتاب تهدف إلى إثارة الأسباب التي أدت إلى توصل الحركات الأصولية إلى غزو ضواحي باريس والمدن الفرنسية الكبيرة، والتغلغل في أوساط الشباب المنتمى إلى الجيل الثالث والرابع من المهاجرين، وإلى فرض أفكارها المتطرفة المحرّضة على العنف، وعلى "الجهاد المقدس".

ومن خلال الدراسات والأبحاث المنشورة في الكتاب المذكور، نتبين أن المؤلفين ركزوا اهتماماتهم على

صدرت خلال العقود الثلاثة الأخيرة، عن كبريات دور النشر في باريس، العديد من الكتب المهمة بمختلف قضايا الإسلام السياسي خصوصاً بعد أن غزت الأفكار الأصولية المتطرفة ضواحي العاصمة والمدن الكبيرة حيث يكثر عدد المهاجرين القادمين من بلدان المغرب العربي، لتستقبل شباناً وشابات يتمتعون بالجنسية الفرنسية إلا أنهم لا يترددون في ارتكاب أعمال إرهابية ذهب ضحاياها العشرات من الأبرياء، ولا في

وفي أبحاث أخرى نقرأ أن أغلب الذين انجذبوا في فرنسا إلى الحركات الأصولية المتطرفة كانوا في فترة ما من المنحرفين، ومن مرتكبي جرائم حوكموا بسببها، وامنضوا سنوات في السجن. وهذا كان حال شريف كواشي، العقل المدبر لمجزرة جريدة "شارلي إبدو" في شتاء 2015.

ضرورة فصل الدين عن الدولة، وتتفق الحركات الأصولية الأربعة أيضاً على تركيز جهودها على السعي لكي يظل

الكتاب "LES TERRITOIRES CONQUIS DE L'ISLAMISME" من تأليف Bernard Rougier، الذي نشرته PUF.

المؤلفين ركزوا اهتماماتهم على

المؤلفين ركزوا اهتماماتهم على

صبرت خلال العقود الثلاثة الأخيرة، عن كبريات دور النشر في باريس، العديد من الكتب المهمة بمختلف قضايا الإسلام السياسي خصوصاً بعد أن غزت الأفكار الأصولية المتطرفة ضواحي العاصمة والمدن الكبيرة حيث يكثر عدد المهاجرين القادمين من بلدان المغرب العربي، لتستقبل شباناً وشابات يتمتعون بالجنسية الفرنسية إلا أنهم لا يترددون في ارتكاب أعمال إرهابية ذهب ضحاياها العشرات من الأبرياء، ولا في